

أثر الاستعارة في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال الربع الأخير من القرآن الكريم: دراسة تفسيرية بلاغية

The effect of Metaphor in “*Al-Taḥrīr wa al-Tanvīr*” by *Tāhir Ibn ‘Āshūr* through the last Quarter of the Holy Quran: An Interpretive Rhetorical Study

Ihsan Ullah

Doctoral Candidate, Faculty of Usuluddin, Department of Tafseer & Quranic Sciences, International Islamic University Islamabad

Dr. Dhaif bin Rabih Nattor

Associate Professor, Faculty of Usuluddin, Department of Tafseer & Quranic Sciences, International Islamic University Islamabad

Abstract

The study begins with the assumption that metaphors are widely used in the Quran. The Tafsir *Al-Taḥrīr wa al-Tanvīr* has special importance among all the Tafasirs due to its latest rhetorical analysis of the Quran. Metaphors have the essential elements of interest which need thorough investigation with special reference to Tafsir *Ibn ‘Āshūr* and his approach in the presentation of Quranic metaphors. The purpose of the study is to focus on the influence of metaphors on the meaning of verses of Quran in light of the Tafsir. The research also makes effort to link the modern scientific approach of rhetorical study with the approach of Shaykh Muhammad Al- *Ibn ‘Āshūr*. This Tafsir is of great importance for the researchers in terms of its analysis of metaphorical images and its kinds. The use of metaphors makes it easy to convey the required meaning(s) to the mankind. The research also studies the similarities and differences in

the use of metaphorical images in Tafsir *Ibn 'Āshūr* in comparison with previous rhetorical Tafasirs. The study also highlights the most rhetorical kinds of metaphors and its importance with special reference to Tafsir *Ibn 'Āshūr*.

Key Words: Tafsir, Metaphor, Rhetorical Study, Meanings, *Ibn 'Āshūr*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أفصح من نطق بالضاد و على آله وأصحابه الطيبين الطاهرين و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد! إن القرآن الكريم معجزة خالدة لا تنقطع لأنها مستمرة و لا تغرب لأنها مشرقة و إن غربت الشمس و لا تأفل و تبقى لامعة و إن أفلت النجوم، و أنها باقية لا تفتى و إن فني الكون و لا سبيل لإنكارها، لأنها ترى بالبصر و تسمع بالأذن تلمس باليد و تلك خصائص هذه المعجزة المفضية إلى التسليم و الإذعان المؤدية إلى التصديق بها والإيمان بها، المقنعة للعقول السليمة على قبولها. و من هنا كان لعلماء هذه الأمة الإسلامية في كل زمان و مكان اهتمام بالغ منقطع النظير بالقرآن الكريم حفظا و دراسة و استنباطا و بحثا و استنتاجا. فلأصوليين و الفقهاء و المقننين فيه أهداف و مطالب و لهم إليه منهج و طريقة، و للمتكلمين و الفلاسفة فيه مقاصد و أهداف و لهم إليه نهج و سبيل، و للغويين و البيانين فيه أهداف و مطالب و لهم إليه وسيلة و طريقة و على الرغم ما كتبه الكاتبون و بحثه الباحثون حول القرآن الكريم فإنه مازال و لا يزال و سيظل بحرا لا ساحل له و كتزا لا نفاذ له و أنه يبقى جديدا لكل دارس و باحث يتعرض إليه. و ما يخصنا هنا من جوانب دراساته و بحوثه هي الاستعارة من الجانب البياني فإن القرآن الكريم هو معجزة هذه الأمة و إعجازه في الراجح يرجع إلى بلاغته و بيانه و أسلوبه و نظمه و هو مصدر عظيم و منبع هائل و رافد خصب للدراسات البلاغية و التفسيرية، و لولاه لما وصلت إليه الدراسات البلاغية و التفسيرية إلى ما وصلت إليه الآن فهو كما وصف أعظم نص إلهي وصل إلينا ونظرا إلى ما يوجد لدينا من تصانيف و مؤلفات يبدو كأن الثقافة الإسلامية نشأت لخدمة النص القرآني، و قد استغرقت في البحث عن دلالات الألفاظ القرآنية و تراكيبها و عن مفاهيمها و مطالبها حتى نرى هذا الكم الهائل للتفسير و البحوث و الدراسات بأسمائها المختلفة و موضوعاتها المتعددة حول هذا النص الإلهي المقدس ثم من المعلوم أن المفسرين و الباحثين عن القرآن الكريم قد اختلفت مشاربهم العلمية، و تفاوتت قدراتهم الذهنية و تنوعت وجهاتهم في تفسير النص القرآني ما بين ماثل إلى استنباط الأحكام الشرعية و آخر إلى استخراج القواعد اللغوية و ثالث إلى تتبع القواعد البلاغية و البيانية و رابع

إلى تطبيقها على هذا النص وما إلى ذلك. ثم إنمن المعلوم أن البلاغة القرآنية لها أثر بالغ في إبراز المعنى المراد ومنها الصورة الاستعارية هي أيضا تلعب دورها البارز في توضيح المعنى وتجسيده وتشخيصه و كنت أريد وأفكر في أن أختار موضوعا يتمثل فيه هذا الجانب -أعني -الاستعارة و أثرها في إبراز المعنى ، فلما بحثت عنها في التراث التفسيري فما وجدت ذلك إلا في الكشاف و البيضاوي و حواشيها وغير ذلك من التفاسير البلاغية التي كتبت بعد ذلك ولكن اخترت من بينها تفسير التحرير و التنوير في هذا المجال و ذلك بأنه الشامل و الجامع لكل ما سبقه من التفاسير البلاغية مع ما أضافه الشيخ في هذا الميدان من أسرار و نكات في روائع الاستعارات القرآنية و بدائعها. وقد يسر الله لنا إتمام هذا البحث بشكل علمي، و تناولنا فيه أثر الاستعارة في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير و التنوير للطاهرابن عاشور. وعلى ذلك، فقد اشتملت هذه الدراسة على المحاور التالية :

أولا: نبذة عن حياة المؤلف وتفسيره

ثانيا: مفهوم الاستعارة وما يتعلق بها

ثالثا: أثر الاستعارة في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير و التنوير للطاهرابن عاشور

أولا: نبذة عن حياة المؤلف الطاهر ابن عاشور رحمه الله وتفسيره (الحريرو التنوير)

النقطة الأولى: حياته الشخصية:

مولده ونشأته

التعريف بالإمام ابن عاشور: هو محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر الأول بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي¹. ولد محمد الطاهر بن عاشور "بضاحية المرسي" من أحواز تونس في جماد الأولى سنة 1296هـ الموافق سبتمبر 1879م وذلك في قصر جده للأم محمد العزيز بوعتور. نشأته: سكن بن عاشور مع جده الوزير وكان يتنقل معه في السكن بين المرسي ومنوبة وتونس، وكانت هذه الثقة تزداد مع مرور الأيام. لقد كانت نشأة الإمام بن عاشور علمية منذ بداية نشأته، ولما بلغ السادسة من عمره بدأ في تعلم القرآن الكريم في منزله، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، وفي عام 1893م دخل جامع الزيتونة الأعظم، وثابر على تعلمه حتى حصل على شهادة التطويح عام 1899م. ومن أول وهلة ظهرت عليه علامات الذكاء الوقاد، وسرعة الحفظ والتصور وكانت همته عالية تزداد يوماً بعد يوم.²

النقطة الثانية: حياته العلمية

لقد اتسمت الحياة العلمية للشيخ ابن عاشور بالفاعلية والاجتهاد، والحرص الدؤوب على طلب العلم والمثابرة في سبيل ذلك، فقد تنقل بين طلب العلوم المختلفة فدرس النحو، والفقه، وفي سنة 1309م بدأ يتلقى دروساً في مسجد سيدي أبو حديد، وقد أثار إعجاب شيوخه وأقرانه وكان يقضي جل وقته في

مطالعة الكتب، وكانت همته للطلب تزداد يوماً بعد يوم، ولم يقتصر على العلوم العربية فحسب بل حتى أخذ العلوم الفرنسية، وهكذا اكتسب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ثقافة واسعة شملت التفسير والحديث والقراءات ومصطلح الحديث واللغة والتاريخ والمنطق، وعلم العروض وأعمل فكره فيما حصله وتوسع في ذلك وحلل فقد تخرج على أيدي جلة من علماء عصره امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها وبديعها إلى جانب قدرة على التبليغ ومعرفة بطرق التدريس وقدرة على تربية الملكات في العلوم. لقد كان هناك العديد من العوامل التي أثرت على سيرة ابن عاشور العلمية والمعرفة ومنها: جده للأب في اقتدائه به وبسيرته، وجده للأم، وشيوخه وعلماء عصره، إضافة إلى استعداده الفطري لتلقي العلوم المختلفة..

النقطة الثالثة: مؤلفاته

لقد تميز ابن عاشور بثرائه وتنوعه فلم يحصر نفسه في إطار تخصص ضيق بل كانت له جولات في أكثر من مجال، وقد تنوع عطائه ما بين التأليف والتحقيق، فمن أهم مؤلفاته وتحقيقاته المطبوعة في التفسير: التحرير والتنوير "الذي نحن بصدد الحديث عنه". وفي الحديث: كشف المغطأ من الألفاظ والمعاني الواقعة في الموطأ، والنظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح. وفي الفقه والأصول: حاشية على التنقيح للقراقي في أصول الفقه سمي "التوضيح والتصحيح"، ومقاصد الشريعة الإسلامية. وفي البلاغة: موجز البلاغة. وفي السير: قصد المولد. وفي الاجتماعيات: أليس الصبح بقریب، النظام الاجتماعي في الإسلام، أصول التقدم في الإسلام.

النقطة الخامسة: نبذة عن التفسير (التحرير والتنوير)

أما عن دوافع تأليف هذا التفسير، يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره: « كان أكبر أمنيته منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاهد استنباطها، والأخذ قوس البلاغة من محل نياطها ; طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره»³.

النقطة السادسة: مكانة تفسير ابن عاشور من بين كتب التفسير

يعد تفسير التحرير والتنوير من أهم الأعمال العلمية الإسلامية، لا على مستوى تونس والشمال الإفريقي فحسب، بل وعلى مستوى العالمين العربي والإسلامي، فقد انتهت إلى الشيخ الرئاسة العلمية في شمال إفريقيا ممثلة في الجامعة الزيتونية، لذلك يعد ثمرة إنتاج ضخمة وتجارب متعددة اكتسبها الطاهر من مشايخه الكثر. وهذه شهرته واسمه " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد.

النقطة السابعة: المصادر الرئيسية للتفسير

مما لا شك فيه أن عالماً مثل ابن عاشور مارس التدريس والإفتاء والقضاء لا بد له من أن يعيش معظم وقته ينتقل بين التراث الإسلامي، وينهل من المكتبة الإسلامية، على اختلاف في المصادر والمراجع التي يرجع إليها، في مختلق العلوم، وسائر الفنون، وقد ظهر تأثير ذلك على شخصية ابن عاشور من خلال مؤلفاته القيمة والتي منها التحرير والتنوير. لقد ظهرت مصادر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير من خلال ما كان يستند إليه من النقول أو الإشارات للمصادر والمراجع التي رجع إليها طول كتابته للتفسير فقد كان أحياناً يصرح باسم الكتاب، أو باسم المؤلف، أو بهما معاً. ومما صرح به في المقدمات التفاسير التي يراها من وجهة نظره أكثر شيوعاً، وتأثيراً حيث يقول: "وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف و المحرر الوجيز لابن عطية و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني"⁴

ثالثاً: مفهوم الاستعارة وما يتعلق بها

النقطة الأولى: تعريف الاستعارة لغة واصطلاحاً

الاستعارة لغة: مأخوذة من العارية، وهي نقل منفعة شيء مملوك لشخص إلى غير مالكة، مع بقاء الملكية لمالك ذلك الشيء. كإعارة الدابة، أو الدار أو الكتاب لمن هو في حاجة إلى منافع هذه الأشياء. والعارية والإعارة ما تداوله الناس بينهم. واستعار فلان كذا طلب إعارته إياه. والسين والتاء فيها مزيدتان للطلب.⁵ الاستعارة اصطلاحاً: كان أول من وضع تعريفاً للاستعارة هو الجاحظ فقال: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"، وقد لاحظ متأخرو البلاغيين قصوراً في كل التعريفات التي تقدمت؛ وهذا حملهم على وضع تعريف واف للاستعارة فقالوا: "الاستعارة: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة، من إرادة المعنى الوضعاً أو «استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي».⁶ هذا التعريف هو الشائع الآن في مصنفات البلاغيين المعاصرين، والجارى على ألسنتهم وهو تعريف واف جامع مانع، خال من جميع

المؤاخذات، يشتمل على العناصر الفنية للاستعارة، وهي: نقل اللفظ المستعار من معناه الوضعي إلى معناه الاستعاري. ومن كل التعريفات السابقة تظهر الحقائق الآتية بالنسبة للاستعارة:

- 1- الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.
- 2- وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه.
- 3- تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعار له، واللفظ مستعارا.
- 4 - وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية.

النقطة الأولى: الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية

بعدما بحثنا الاستعارات في الربع الأخير من القرآن وجدنا الاستعارة التصريحية والمكنية في أكثر من موضع علي النحو التالي:

1: قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ⁷ أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: {وكلوا من رزقه} فالسعي في السبب لا ينافي التوكل⁸. والاستعارة في (الذلول) لأن الذلول من الدواب المنقاداة المطاوعة، مشتق من الذل وهو الهوان والانقياد... فاستعير الذلول للأرض في تذليل الانتفاع بها مع صلابة خلقها تشبيها بالدابة المسوسة المرتاضة بعد الصعوبة على طريقة المصححة⁹. فالآية تأخذ تصويرا حسيا جميلا وتأخذ الإدراك البشري بنعم الله تعالى التي وهبها لنا، وهي من جماليات تصوير القرآن الكريم.

2: قوله تعالى: فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً¹⁰ ويعلق الشيخ علي هذه الاستعارة قائلا: "والأخذ مستعمل في الإهلاك مجازا لأنه لما أزالهم من الحياة أشبه فعله أخذ الأخذ شيئا من موضعه وجعله عنده. والوبيل: فعيل صفة مشبهة من وبيل المكان، إذا وخم هواؤه أو مرعى كلئه، وقال زهير: "إلى كلال مستوبل متوخم وهو هنا مستعار لسيء العاقبة شديد السوء، وأريد به الغرق الذي أصاب فرعون وقومه"¹¹. إذا في الآية استعارتان، الأولى: في الأخذ حيث شبه الهلاك بالأخذ، كأنه لما أهلكهم وأزالهم من الحياة أخذهم من الحياة وجعلهم في الممات، فصرح بالمشبه به علي الطريقة الاستعارة التصريحية. والثانية: وبيل: شبه سوء العاقبة وهي غرق بالوبيل، فصرح بالمشبه به (الوبيل) وحذف المشبه (الغرق) فهي استعارة تصريحية. واستعارتان صورتنا لنا مشهدا فضيعا من عذاب فرعون في صورة محسوسة.

3: يقول الله تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى¹² يري الشيخ أن في هذه الآية استعارتان: الأولى: في كلمة (جاءت)، فالمجيء مستعار للحصول والوقوع الشيء، أي: إذا حصلت و وقعت القيامة، فشبه الطامة أو القيامة بالشخص جاء من بعيد وحذف المشبه به وترك القرينة الدالة عليه وهي المجيء

علي طريقة الاستعارة المكنية. والثانية: في كلمة (الكبري) وصفت الطامة بالكبري ، وذلك بتشبيه الطامة بالشخص ، لأن الطامة معقولة والصفة (الكبري) من صفات الأشخاص و الأشياء المحسوسة ، فحذف المشبه به وترك المشبه علي طريقة الاستعارة المكنية . و بولغ في تشخيص هولها بأن وصفت بالكبري و أطلق عليها بالمحيي فكان هذا أصح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال.¹³

النقطة الثانية : الاستعارة الأصلية والتبعية

1- يقول الله تعالى: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ¹⁴ ويعلق الشيخ علي هذه الاستعارة قائلاً: "والاستعارة في (السبيل)" والسبيل: الطريق واستعير إلى الوسيلة التي يحصل بها الأمر المرغوب، وكثير تصريف الاستعمال في إطلاقات السبيل والطريق والمسلك والبلوغ على الوسيلة وبحصول المقصود.¹⁵ فحذف المشبه وهو الأمر المرغوب، وترك المشبه به وهو السبيل ، علي طريقة الاستعارة التصريحية. والمستعار (السبيل) اسم جامد ، فهي استعارة أصلية.

2- يقول الله تعالى وَحَدَائِقُ غُلْبًا¹⁶ وقال البيضاوي: "وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها ، أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعارة من وصف الرقاب".¹⁷ ويعلق الشيخ علي هذه الاستعارة قائلاً: "والرقاب جمع الرقبة وهي العنق . استعير غلب من وصف الرقاب إلي غلاظة الأشجار ، فشبّه غلاظة الأشجار بالرقاب الغليظة . فهي استعارة أصلية . وذلك من محاسن الحدائق لأنها تكون قد استكملت قوة الأشجار".¹⁸

3- يقول الله تعالى: وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ¹⁹. ويعلق الشيخ علي هذه الاستعارة قائلاً: "والفرش: بسط الثوب ونحوه للجلوس والاضطجاع، وفي فرشناها استعارة تبعية، شبه تكوين الله الأرض على حالة البسط بفرش البساط ونحوه...ولما كان في فرشها إرادة جعلها مهذا لمن عليها من الإنسان أتبع (فرشناها) بتفريع ثناء الله علي نفسه علي إجابة تمهيدها تذكيراً بعظمته ونعمته، أي فنعم الماهدون نحن.²⁰ فصور لنا حالة الأرض وتكوينها بصورة فرش البسط ، وهذا من محاسن و جمال الاستعارة.

4- يقول الله تعالى: فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ²¹. والاستعارة في (يسجرون) فهي استعارة تبعية بتشبيههم بالتنور في استقرار النار بباطنهم كما قال تعالى: يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ²² بمعنى : أن النار تملأ بطونهم كما يملأ الوقود التنور، فشبهوا بالتنور والمستعار (يسجرون) فعل ، فهي استعارة تبعية.

النقطة الثالثة: الاستعارة الترشيفية ، المجردة والمطلقة

1: الترشيفية: ومثاله في قول الله تعالى: وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ²³ والذي نزل من السماء ماء بقدر، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. فأنشرننا، أحيينا، به بلدة ميتة كذلك، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك،

تخرجون، من قبوركم أحياء. وأصل النشر بسط ما كان مطويا وتفرعت من ذلك معاني الإعادة والانتشار. والنشر هنا مجاز لأن الإحياء للأرض مجاز، وزاده حسنا هنا أن يكون مقدمة لقوله: كذلك تخرجون.²⁴ إذا ففي الآية إستعارتان ، الأولى : أن النشر مستعار من البسط ألي الإحياء فشبه الإحياء بالبسط . والثانية: أنه شبه إحياء الأرض وموتها بالإنسان . و(ميتا) ملائم للمشبه به وهو (الإنسان).
فهي استعارة مرشحة ، والسر الجمال في الصورة تشخيص المعني .

2: المجردة : ومثاله في قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ²⁵، والاستعارة في (مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) "فالمقت مستعار لقلة التدبر فيما يضر ومعني (مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أي أنهم حرموا أنفسهم من فضيلة الإيمان ومحاسن شرائعه ورضوا لأنفسهم دين الكفر وهم علي دراية أن الكفر فيه ضلال و ضرر و سوء ، وهذا الفعل شبيه بالمقت أي شبيه بفعل المرء لبغيضه من الضر والكيد".²⁶ إذا فالمشبه قلة التدبر فيما يضر، والمشبه به البغض ، و(إذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) ملائم للمشبه ، علي سبيل الاستعارة المجردة.

3: المطلقة: ومثاله في قول الله تعالى: جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ²⁷ أي " جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبداً، رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه، وجري النهر مستعار لانتقال السيل تشبيها لسرعة انتقال الماء بسرعة المشي.²⁸ شبه النهر بالماشي (حيوان أو إنسان) والقرينة هي الجري ، لأن الجري من أفعال الإنسان والحيوان ، أي أن السبيل ينتقل بسرعة في النهر كما يجري الماشي بسرعة، وهذه الاستعارة خالية مما يلائم المشبه و المشبه به ، فهي استعارة مطلقة ، وهي من محاسن صور النعيم.

النقطة الرابعة: الاستعارة التمثيلية: ومثاله في قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ²⁹ والكفل: بكسر الكاف وسكون الفاء: النصيب. وأصله: الأجر المضاعف، وهو معرب من الحبشية كما قاله أبو موسى الأشعري، أي يؤتكم أجرين عظيمين، وكل أجر منهما هو ضعف الآخر مماثل له فلذلك ثني كفلين ... وقوله: ويجعل لكم نورا تمشون به تمثيل لحالة القوم الطالبين التحصيل على رضى الله تعالى والفوز بالنعيم الخائفين من الوقوع في ضد ذلك بحالة قوم يمشون في طريق ليل يخشون الخطأ فيه فيعطون نورا يتبصرون بالثنايا فيأمنون الضلال فيه. والمعنى: ويجعل لكم حالة كحالة نور تمشون به.... وجميع أجزاء هذا التمثيل صالحة لتكون استعارات مفردة، وهذا أبلغ أحوال التمثيل....³⁰ والاستعارات المفردة عند ابن عاشور هي : أولا تشبيه الهدى بالنور، ثانيا: تشبيه البصيرة بالطريق و والقرينة (تمشون به) أي يتبصر به

الخاتمة والنتائج

وبعد هذا البحث العلمي والفني مع الصور الاستعارية ، ومن أثناء دراستنا في هذه الآيات الكريمة ، يمكن أن نشير بإيجاز إلي أهم ما توصلنا إليه من النتائج:

1-إن الاستعارة هي عبارة عن تصوير للمعني والكشف عن جمال صياغتها وإقناع المتلقي والتأثير فيه.

2-تظهر أثر الاستعارة في هذه الآيات الكريمة أنها تصور المعني تصويرا يحقق أغراض مختلفة منها:التجسيم والتشخيص والإيجاز والإطناب.

3-يكثر الاستعارة التصريحية من الأقسام الأخرى

4:نجد في بعض الأحيان الصور تحتمل وجهين ، تصريحية ومكنية، مثل : (نورهم يسعى بين أيديهم)، فقد تكون مكنية بتشبيه انتشار النور بسرعة مثي الماشي ، أو تصريحية بتشبيهه الهدى بالنور.

5-تعد مشاهد هذه الصور الاستعارية عامل جذب وتوجيه لأفكار الناس ، والاستعارة المؤظفة في تلك الآيات تزداد قوتها تأثيرا في القلوب والنفوس. ويمكن القول أن هذه أهم النتائج التي توصلت إليها ، والحقيقة أن القرآن مليء بالصور البيانية والاستعارات التي يمكن التأمل فيها ودراستها.وأخيرا نحمد الله علي إتمام لهذا البحث ، ونرجو أنني قد أسهمنا ولو بجهد المقل في البحث اللغوي البلاغي لأن الكمال لله وحده، ونسئل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار إنه علي كل شيء قدير، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

References

- 1 H aya Sāmar al-‘Alī Miftāh, *Al-Shaikh Muhammad al-Tāhir Ibn ‘Āshūr wa Manhajuhū fī tasīrih “Al-Tahrīr wa al-Tanvīr* (Al-Doha: Dār al-Thaqāfat, 1994), 19
- 2 Muhammad al-Habīb Ibn al-Khawjah, *Majallah al-Hidāyah hiya Majallah Dawriyya Tasdiruhā wizārat al-‘Adl wa al-Sha’wn al-Islāmiyyah wa al-Awqāf*, 3-4: 11.
- 3Muhammad al-Tāhir Ibn Muhammad Ibn Muhammad al-Tāhir Ibn ‘Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 1:5.
- 4 Ibn ‘Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*,1:7.
- 5 Ibn Manzūr, *Lisān al-‘Arab* (Beirut: Dār Sādir, 1414AH), 4:612.
- 6 Hāmid ‘Awnī, *Al-Minhāj al-Wādiḥ li al-Balāgha* (Al-Maktaba al-Azhariyyah li turāth), 1:104.
- 7Al-Mulk 67:15.
- 8 Ibn Kathīr, *Tafsīr al-Qurān al-‘Al-‘azim*, ed. Sāmī Ibn Muhammad (Dār al-Taibah li al-Nashr wa al-Tawzi’, 1999), 8:179.
- 9 Ibn ‘Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*,29:31-32.1
- 10 Muzzamil 73:16.
- 11Ibn ‘Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*,29:274.
- 12 Al-Nāz‘āt 79:34.
- 13 Ibn ‘Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*,30:90.
- 14 Ghafir 40:11.

- 15 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 24:99.
- 16 'Abasa 80:30.
- 17 Al-Baidāvī, *Hāshia Mohyuddin Shaikhzada*, 8:516.
- 18 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 30:132.
- 19 Al-zāriāt 51:48.
- 20 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 27:17.
- 21 Ghafir 40:71.
- 22 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 24:203.
- 23 Al-Zukhruf 43:11.
- 24 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 25:171.
- 25 Ghafir 40:10.
- 26 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 24:95.
- 27 Al-Bayyinah 98:8.8
- 28 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 30:486.
- 29 Al-Hadīd 57:28.
- 30 Ibn 'Āashūr al-Tonasī, *Al-Tahrīr wa al-Tanvīr*, 27:428-429.